بسم الله الرحمن الرحيم

****

جامعة ام البواقي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

****

محاضرات في فقه اللغة

المستوى: سنة أولى ليسانس

(نظري / تطبيقي)

الأستاذ عبد الرحيم عزاب

الجزء الثاني / 2

الأستاذ عبد الرحيم عزاب

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

المحاضرة الخامسة: علاقة اللفظ باللفظ:

1-العلاقة بين صوت الكلمة و معناها

إعداد و تقديم الأستاذ عبد الرحيم عزاب

عناصر المحاضرة/الدرس

تمهيد:

أولا: الدلالة الصوتية

ثانيا: الدراسة الصوتية جزء أصيل من دراسة المعنى.

ثالثا: العلاقة بين الأصوات و المعنى علاقة جدلية.

رابعا: دور الصوت في اختلاف المعنى.

خامسا: نظرية المحاكاة الصوتية و مناسبة اللفظ للمعنى.

-أمثلة تطبيقية من القرآن الكريم-

1-الفاصلة القرآنية بين ملاءمة اللفظ و مراعاة المعنى.

1-1-على مستوى الحروف.

1-2-على مستوى المفردات (الألفاظ).

أ-عند النحاة و اللغويين.

ب-عند نقاد الأدب العربي القديم.

سادسا: دلالة الجرس أو الصوت.

-مقاربة مفهومية و أنطولوجية.

قائمة المصادر و المراجع.

الأستاذ عبد الرحيم عزاب

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

تمهيد:

يعد سؤال الصوت من أكثر الأسئلة إلحاحا في مكونات الدرس اللساني المعاصر بله التراثي، لكونه مرتبطا ببنية النص في مجالاته النحوية و الصرفية و الدلالية، و لعل أبرز القضايا التي يعالجها الصوت ما يتعلق بالبحث عن المعنى.

إن الشعر بناء موسيقي (صوتي) باللغة، فالموسيقى سلسلة صوتية تنبعث عنها المعاني، لأن الشعر في حد ذاته تنظيم لنسق من أصوات اللغة تنظيما يحدث نوعا من الإثارة. فالإنسان مفطور بطبعه على إيثار الصوت الموسيقي المنغوم. و لا يسمى الشعر شعرا حتى يكون له وزن و صوت و قافية، و قد ساعدت القافية بوصفها منبها صوتيا على تعزيز البناء الموسيقى للشعر العربي، و أسهمت في سهولة حفظه و روايته عبر العصور.

إن الضرورة الصوتية هي ضرورة منطقية في الخطاب الأدبي، و لذلك أجمع و تواتر الدرس الصوتي و النحوي و البلاغي و العروضي على حقيقة مفادها أن الشاعر الحقيقي عندما يقول الشيء الجميل، يقول في نفس الوقت الشيء الصحيح.

إن الصوت هو حركة المعنى، و ليس بينهما انفصال، و لإدراك أحدهما ينبغي اكتشاف الآخر معه، فالصوت هو بناء اللغة و بناء المعنى في آن.

فالصوت هو السبيل الأمثل الذي يستند إليه النص القرآني المقدس أو النص الشعري في حركة المعنى و تناسل الدلالة.

فالكلمات التي يبتدعها المعنى (الدلالة) لا تنفصل عن أصولها الصوتية، و لهذا قـــــال أمبرطو إيكو Umberto eco:" إن الجرس يجب أن يكون صدى للمعنى ". و هذا ما يدل في اعتقادنا على دور الإيقاع الصوتي في الوفاء بالمعنى في الخطاب الشعري، و هو أبلغ منه و أسرع في الخطاب القرآني، و بالتالي فإن الكلام الموزون و المقفى هو البحث في آلية القراءة و التلقي من جوانب متعددة، منها سرعة نفاذه إلى الفكر و التذكر...و من هنا إشادة إلى أن "إخوان الصفا"[1] في رسائلهم تنبأوا إلى هذه الوظيفية

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

التواصلية Communicative لقولهم:" إن الأبيات الشعرية الموزونة و المقفاة تثير الأحقاد الكامنة و تحرك النفوس الساكنة و تلهب نيران الغضب على نحو مماثل لما تفعله الألحان الموسيقية"، إن الكلام الموزون أكثر نفاذا إلى الفكر و أبقى أثرا فيه، فعلماء النفس يقولون:" إن الكلمة الموزونة تطلق شحنات نفسية أخرى تضاف إلى المعنى الأصلي".

فالشعر أداة حفظ للعربية، و لا يسمو الشعر إلى هذه الدرجة إلا لكونه قانونا صارما لا يقتحمه إلا من كان ذا بيان رفيع و ذا معجم ثري، ليتمكن من التحرك بحرية في محيط الشكل الشعري و معناه، فالشعر جمال فضلا عن كونه حافظا للسان.

إن ثبات العرب على القوانين الشعرية حفاظا للسانهم فلو أنهم سمحوا لشعرائهم بالخروج عليها، فسيضعفون البلاغة و الصوت الشعريين و يسمحون لكل من قال نثرا أن يدعي أنه شاعر، لاسيما و أنهم أولوا عناية كبيرة لرواية الأشعار، بل إنهم فاضلوا بين الشعراء بيانا و صوتا، فالأصمعي و ابن سلام الجمحي و الآمدي لم يفاضلوا بين كلام و كلام بل فاضلوا بين شعر و شعر، و لم يوازنوا بين شعر و نثر. و النوع الأدبي يخضع لسياقين كي يمتلك هويته هما الأسلوب و قوانين النظم.

أولا: الدلالة الصوتية:

علم الأصوات هو علم يدرس أصوات اللغة المنطوقة، و هو فرع من علم اللغة، و يتميز عنها بجانبه المنطوق فقط، و " الأصوات أصل طبيعة اللغة، و الكتابة لاحقة عليها، فهي رمز الصوت و تجسيد مادي له"[2] .

و علم الأصوات قديما عند العرب واحد من العلوم اللغوية التي ظهرت في القرن الثاني للهجرة. " و قد كان الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) أول من شرع منهاجا للناس في هذا العلم الذي كانت معطياته موزعة بين معارف لغوية عامة و وجوه قرائية خاصة مما يتعلق بقراءة القرآن الكريم و تحقيق لفظه و تجويده نطقه"[3].

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

أما المراد بالدلالة الصوتية، فهي تلك الدلالة المستمدة من طبيعة الأصوات و " تتحقق الدلالة الصوتية في نطاق تأليف مجموع أصوات الكلمة المفردة، وتسمى بالعناصر الصوتية الرئيسة، والتي يرمز إليها بالحروف الألف بائية: أ، ب، ت، ج، ح... ويشكل منها مجموع حروف الكلمة التي ترمز إلى معنى معجمي "[4]، فإذا حدث إبدال- أو إحلال – صوت منها في كلمة لصوت آخر في كلمة أخرى، أدى ذلك إلى اختلاف دلالة كل منهما عن الأخرى، و يعرف هذا الإحلال الصوتي في علم اللغة بالحديث عن التوازن التقابلي، إذ لا يحل فونيم phonème محل آخر في كلمة ما، فتنشأ كلمة ذات معنى مختلف"[5].

إن الصوت عارضة لغوية تخضع لما تخضع له اللغة من عوامل الحياة والتطور، فالصوت و المعنى قسمة جمالية متوارثة متطورة أبدا، و عالم الصوت و الدلالة الحق هو ذلك الذي يجري وراء اللغة يتتبع مسيرتها، ويفقه أساليبها. " فالدراسة الصوتية هي الدراسة اللغوية الأولى التي يعنى بها اللغويون، و بها يعرف الدراس كثيرا من الظواهر اللغوية التي تدرس في كتب النحو، من إبدال، و إعلال، و إدغام إلى غيرها من ظواهر لغوية لا تفهم فهما مستوعبا إلا إذا أخذت الدراسة الصوتية لها مكانا في دراسة العربية"[6].

ثانيا: الدراسة الصوتية جزء أصيل من دراسة المعنى.

لا يمكن الأخذ في دراسة لغة ما، أو لهجة ما دراسة علمية ما لم تكن هذه الدراسة مبنية على وصف أصواتها، و أنظمتها الصوتية، فالكلام أولا و قبل كل شيء، سلسلة من الأصوات، فلابد من البدء بالوصف الصوتي للقطع الصغيرة، أو للعناصر الصغيرة، أقصد أصغر وحدات الكلمة، هذه الوحدات التي تتألف منها المقاطع Syllabes و " من المحال إذن دراسة بنية الكلمة دون التحقق الصوتي للعناصر المكونة للكلمات، كما أن دراسة نظم Syntaxe الكلام قاصرة ما لم يراع فيها دراسة الصور التنغيمية Formes toniques مثلا، و الدراسة الدلالية Sémantique أي دراسة المعنى لا يمكن أن تثمر ما لم ترتكز على دراسة الصور الصوتية و التنغيمية"[7].

و يسترسل العلامة محمود السعران في تبيان القيمة العلمية و الوظيفية للدراسة الصوتية قائلا:" و لا غنى للمعاجم عن الاستعانة بالثقافة الصوتية اللغوية، فالمفروض أن واجب المعاجم لا يقتصر على تبيان معاني

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

المفردات، و تطور هذه المعاني، بل يتعداه إلى تمثيل نطق هذه المفردات، و هذا لا يكون إلا باصطناع نظام من الرموز الكتابية يكون أدق تمثيلا للنطق من الأبجدية التقليدية"[8].

ثالثا: العلاقة بين الأصوات والمعنى علاقة جدلية.

لقد قيل عن أية كلمة ما، و بصورة عمومية " كل إشارة لغوية هي كيان ذو جانبين، فكل إشارة لغوية هي وحدة من الصوت و المعنى، أو بتعبير آخر هي وحدة من الدال Signifié و المدلول Signifiant و المخطط الذي استخدم لتمثيل هذه العلاقة يكون كالآتي:

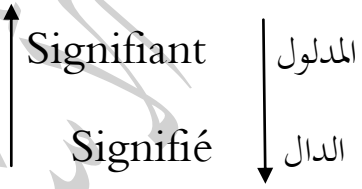

و هذان المكونان الدال و المدلول متصلان بصورة جوهرية، فكل واحد منهما يستدعي الآخر..."[9] و يؤكد رومان ياكبسون Roman Jakobson هذه المعادلة بين الدال و المدلول و الصوت قائلا:" و لكي نكون قادرين على تفسير الأفعال المتنوعة و تصنيفها لأعضائنا الصوتية، فإنه من الضروري أن تؤخذ بنظر الاعتبار الظواهر الصوتية التي تهدف هذه الأفعال إلى إنتاجها، لأننا نتكلم لكي نكون مسموعين، و لكي نكون قادرين على تفسير الأصوات المتنوعة للغتنا و تصنيفها و تحديدها، يجب أن نأخذ بعين الاعتبار المعنى الذي تحمله هذه الأصوات، فمن أجل أن نكون مفهومين نسعى إلى أن نكون مسموعين"[10].

لقد بين دوسوسير في محاضراته، نقطة الانطلاق لدراسة العلاقة بين الأصوات و المعنى، و قد كانت موضوعا لاستخلاص كل تطبيقات هذا النوع الجديد و لتطويره فعليا: أي الدراسة المنهجية لأصوات لغة معينة من جهة النظر إلى وظائفها اللغوية. و قد تم تأسيس هذا الفرع الجديد، في فقه اللغة Philologie الذي يدعى الأن النظام الصوتي أو العلاقة بين صوت الكلمة و معناها أو علم دراسة الفونيمات Phonèmes على يد كل من إدوارد سابير و ليونارد بلومفيلد في أمريكا من جهة أو على يد لغوييي حلقة براغ Prague اللسانيين الروس و التشيك الذين يعرفون في أدبيات علم اللغة بمدرسة براغ، من

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

جهة أخرى. و قد افترضت هذه المجموعة في المؤتمر الدولي الأول الذي عقد في Prague عام 1928، وتبنت بضعة قواعد وأطروحات منهجية تؤكد أن الوصف العلمي للنظام الصوتي لأية لغة، يجب أن يتضمن قبل كل شيء آخر الخصائص البارزة لنظامها الفونولوجي، أي الخصائص لخزين تلك اللغة الخاص، بمعنى الاختلافات بين الصور الأكوستيكية Acoustique الحركية الوثيقة الصلة بالدلالة [11].

رابعا: دور الصوت في اختلاف المعنى.

تصنف أصوات اللغة أو اللهجة إلى وحدات صوتية يطلق عليها في اصطلاح الوحدة على ما يسمى بـ: الفونيم Phonème كأن تقول: إن الوحدات الصوتية في اللغة العربية هي: الهمزة و الباء و التاء و الثاء و الجيم و الحاء و الخاء...إلخ و " الحد الفاصل بين كل وحدة و أخرى هو دور الصوت في اختلاف المعنى، فعلى سبيل المثال: " اللام" في اللغة العربية وحدة صوتية متميزة مهما اختلفت صورتها من تغليظ في مثل: " وَاللَّهِ " أو ترقيق في مثل: " بِاللَّهِ ". وذلك لأن المعنى لا يختلف في حالة التفخيم عنه في حالة الترقيق. و (النون) وحدة صوتية متميزة مهما اختلفت صورتها بأن كانت متحركة في مثل (نَطَقَ) أو ساكنة في مثل (يَنْطِقُ) أو مدغمة مع الغنة في مثل (من يّفعل)، و ذلك لأن المعنى لا يختلف "[12].

و لكن (السين) إذا فخمت فأصبحت صادا، فإنها تنتقل من وحدة (السين) إلى وحدة (الصاد) نظرا لأن المعنى يختلف في هذه الحالة، فالسين في (سَارَ) غير الصاد في (صَارَ) لأن المعنى يختلف (سَارَ = مَشَى)، و (صَارَ = تَحَوَّلَ). و هكذا كل صورتين متقابلتين من ناحية التفخيم و الترقيق، كل واحد منهما يعتبر وحدة صوتية مستقلة إذا ما اختلف المعنى نتيجة لاختلاف الصوتين، فالتاء و الطاء كل منهما يعد وحدة مستقلة، لأن التاء في (تَابِعٌ) غير الطاء في (طَابِعٌ) فالأول اسم فاعل من (تَبِعَ) والآخر اسم فاعل من (طَبَعَ) و المعنيان مختلفان. فالحد الفاصل بين الوحدتين الصوتيين أو الفونيمين هو اختلاف المعنى في الكلمتين مع اختلاف الصوتين. و من مجالات البحث في علم الأصوات الخاص أيضا: دراسة الصوت في موقعه في الكلمة و ما يحدث له من تغير في صفته العامة نتيجة لموقعه الجديد.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

خامسا: نظرية المحاكاة الصوتية و مناسبة اللفظ للمعنى / أمثلة و نماذج تطبيقية من القرآن الكريم.

لقد سبق بالذكر و المتابعة، أن الحد الفاصل بين كل وحدة صوتية و أخرى، هو دور الصوت في اختلاف المعنى، هذا على مستوى نظام الحروف أو الفونيمات، أما ما يتعلق بالمفردات أو الألفاظ، " فيحاول بعض العلماء أن يفسر لنا نشأة اللغة الإنسانية، بما يسمى المحاكاة الصوتية Onomatopie، و قد عرض لهذا الرأي من علماء المسلمين، ابن جني رحمه الله في كتابه " الخصائص " فقال : " و ذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها، إنما هو الأصوات المسموعات: كدوي الريح، و حنين الرعد، و خرير الماء، و شحيح الحمار، و نعيق الغراب، و صهيل الفرس و زقيح القرد و صياح الديك و نشيش اللحم المطبوخ و نحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد "[13].

و مما قد يؤيد هذه النظرية، ما قد نجده في بعض الأحيان، من اشتراك بعض الأصوات في الكلمات التي تحاكي الطبيعة في عدة لغات، فإن الكلمة التي تدل على الهمس، كما هي في العربية كما نعرف: و من الأمثلة على ذلك النون الساكنة في التجويد القرآني، حيث تخرج من مخرجها مظهرة من غير غنة إذا وقعت قبل أحد الحروف الحلقية (الهمزة، و الهاء، و العين، و الحاء، و الغين و الحاء) مثل: (مَن آمَنَ)، (مِنْهم)، (مِن هَادٍ)، (أَنعَمْتَ)...إلخ. و تدغم النون الساكنة مع الغنة إذا وقعت في آخر كلمة ووقع في أول الكلمة الآتية (الموالية لها) أحد الأصوات الأربعة: (الياء، و الواو، و النون و الميم)، مثل: (مَن يَّقولُ)، (مِن وَّالٍ)، (مِن نِّعْمَةٍ)، (مِن مَّالِ اللهِ).و تدغم بغير غنة إذا وقعت في آخر الكلمة ووقع في أول الكلمة الآتية (الموالية) لام أو راء، مثل: (مِن لَّدُنَا)، (مِن رَّبهم).

و حيث تقلب هذه النون الساكنة ميما إذا وقعت قبل صوت الباء في كلمة واحدة نحو (أَنْبِئْهُمْ)، أو في كلمتين، نحو (أَنْ بُورِكَ)، و حيث تخفى هذه النون الساكنة مع بقية الحروف، نحو: (من ثمرة)، (لمن شاء)، (من طيبات)...إلخ، فهذه أمثلة كلها على دراسة الصوت في موقعه، و ما يطرأ عليه من تغير نتيجة لهذا الموقع الجديد. و " لكل لغة، و لكل لهجة نظامها المقطعي الذي يميز أصواتها، و على دارس اللغة وفقه اللغة أن يحدد هذه المقاطع Syllabes، و على سبيل المثال لا يوجد في العربية كلمات مثل:

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

(بِيسْتْ = عشرين)، (آرْدْ = طحين) و هما كلمتان فارسيتان لأن اللغة العربية لا يجتمع فيها ثلاثة أحرف مشكلة بالسكون. فهذا النوع من المقاطع مؤلَّف من: صوت ساكن + حركة طويلة + صوت ساكن + صوت ساكن. و مما تجدر الإشارة إليه، أن ابن جني الذي عاش في القرن الرابع الهجري هو الذي أورد الكلمتين السابقتين مع كلمة فارسية ثالثة هي (مَاسْتْ بمعنى اللبن) و قال إن اللغة العربية لا تشمل على مثل هذه الكلمات "[14].

و مما تجدر الإشارة إليه كذلك ضمن هذا السياق Le contexte، أن علم الأصوات الخاص Phonologie، يدرس أيضا النبر l'accent :" و هو الضغط على مقطع من مقاطع الكلمة، حيث يكون أوضح في السمع، و أكثر بروزا من بقية المقاطع في الكلمة le mot. و لكل لغة، و لكل لهجة نظامها الخاص في النبر"[15].

و لعل درس العلاقة بين صوت الكلمة و معناها، يقودنا حتما إلى دراسة النبر في اللغة العربية و هو الدرس الخامس في منهاجنا البيداغوجي من محاضرات مقياس فقه اللغة و دروسها.

***أمثلة ونماذج تطبيقية من القران الكريم:**

الفاصلة القرآنية بين ملاءمة اللفظ ومراعاة المعنى:

1–على مستوى الأحرف (الحروف).

2–على مستوى المفردات (الألفاظ).

إن الفاصلة في القرآن هي كلمة آخر الآية، في كتاب الله تعالى، قال ابن منظور (ت711 هـ) في هذا السياق:" وأواخر الآيات في كتاب الله فواصل، بمنزلة قوافي الشعر و...واحدتها فاصلة".[16]

و قال بدر الدين الزركشي (ت 794هـ):" الفاصلة هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع".[17]

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

من هنا ندرك أن القدامى من اللغويين والنقاد وعلماء الإعجاز، قد شبهوا الفاصلة القرآنية بقافية الشعر أو قرينة السجع، محاولة توجيه النظر إلى الجرس الصوتي، والملاءمة اللفظية، أكثر من لفت الانتباه إلى المواءمة الدلالية والارتباط العضوي بين مضمون الآيات وخواتمها، وهذا ليس صحيحا على الإطلاق حتى إن بعض القدماء لاحظ في الفواصل القرآنية تبعيتها للمعاني بخلاف الأسجاع التي تتبع فيها المعاني الألفاظ."[18].

ولإبراز الجانب الصوتي (الموسيقي) في الفواصل، ومراعاة متطلبات الإيقاع ومقتضيات التلاؤم النغمي والدلالي، راعت الآيات القرآنية ما يلي:

1–على مستوى الحروف:

1–1–بناء كثير من الفواصل على الوقف pause:

(المشكلة بالسكون) حتى لا يختل الإيقاع. ولهذا شاع الجمع بين الفواصل المختلفة الإعراب نظرا لاتفاق شكلها عند الوقف، ومن ذلك قوله تعالى:"إنا خلقناهم من طين لازب" (الصفات11). مع تقدم قوله تعالى:"عذاب واصب" (الصافات9) و" شهاب ثاقب" (الصافات10). وقد نبه إلى ذلك محمد الحسناوي حين قال:"بل إن جزم الفعل انحر في سورة الكوثر، ليؤكد لنا أن الوقف بالسكون على رؤوس آيات هذه السورة لأن يحقق الانسجام الصوتي (الموسيقي) قال تعالى:" إنا أعطيناك الكوثر. فصل لربك و انحر. إن شانئك هو الأبتر"، وقد أدت مراعاة القرآن للفواصل إلى جملة تغييرات خرجت لبعض التراكيب عن النمط العادي، وقد شمل ذلك:

1–2–التقديم والتأخير:

كما في قوله تعالى:"فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب العالمين" (طه69). وذلك لعلة مراعاة الألف المقصورة أو الألف اللينة التي سادت التلوين الصوتي للسورة. وقارن هذا بقوله في سورة الشعراء الآيات 45–48 وبين:"قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون".

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

فقدم حتما بهارون مراعاة للفاصلة، حيث تسيطر النون المسبوقة بمد على سورة الشعراء. وقبل هاتين الآيتين: الغالبون، يأفكون، ساجدين"[19].

ومنه كذلك قوله تعالى:"إن علينا للهدى وإن لنا للآخرة والأولى" (سورة الليل 13,12) حيث عدل البيان القرآني عما هو مألوف ومتبادر من تقديم الأولى عن الآخرة، مراعاة للفواصل .

1–3–زيادة حرف لأجل الفاصلة (مراعاة الصوت للمعنى):

جاء في قوله تعالى:"وتظنون بالله الظنونا" (الأحزاب10). لأن معظم الآيات من هذه السورة المدنية ينتهي بألف منقلبة عن تنوين وقفا.

فزيد عن النون ألف لمناسبة نهايات الفواصل في الآيات، وقبل هذه الآية: مسطورا، غليظا، أليما، بصيرا، وبعدها شديدا، غرورا، فرارا، و مثلها في قوله تعالى:"إنا أطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلونا السبيلا" (الأحزاب67. برواية ورش لقراءة الإمام نافع).

–وكذلك إلحاق هاء السكت في قوله تعالى:"ماهيه" من سورة القارعة، الآية 9,8.

(وما أدراك ماهيه. نار حاميه) لتحقق اتفاق الفواصل مع ما قبلها وما بعدها (فأمه هاويه. وما أدراك ماهيه. نار حامية).

1–4–حذف ياء العلة:

مثل قوله تعالى:"والليل إذا يسر" (سورة الفجر عن ورش 4)، بدلا من (يسري) لوجودها مع الفجر، عشر، الوتر،... إلى بقية الآيات من نفس السورة، وبمختلف صور الحذف ونماذجه للحرف، ومراعاة للفاصلة ومقتضيات البناء الدلالي العام للسورة"[20].

2– على مستوى المفردات (الألفاظ).

يرى بعض علماء الإعجاز واللغة بناء على هذه النظرية (نظرية المحاكاة الصوتية ومناسبة اللفظ للمعنى).

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

أن مناسبة اللفظ للمعنى مناسبة حتمية، بمعنى أن اللفظ يدل على معناه دلالة وجوب، لانفكاك فيها. ومن نادى بهذا الرأي عباد بن سلمان العميري . من المعتزلة "فقد ذهب إلى أن بين اللفظ و مدلوله مناسبة طبيعية، حاملة للواضع على أن يضع هذه اللفظة أو تلك، بإزاء هذا المعنى أو ذاك ويرون عن بعض من تابعه على رأيه هذا، أنه كان يقول: إنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها، فسئل عن معنى كلمة: (إذغاغ) وهي بالفارسية: الحجر، كما يقولون. فقال: أجد فيه يبسا شديدا، وأراه الحجر"[21].

ولعله من المفيد التأكيد هاهنا، أن من أنصار المناسبة بين اللفظ والمعنى من علماء العربية العلامة اللغوي أبو الفتح عثمان ابن جني، الذي عقد في كتابه "الخصائص" بابا طويلا، جعل عنوانه:"باب في إمساء الألفاظ أشباه المعاني"، وذكر فيه ألفاظا كثيرة من اللغة العربية، تؤكد كلها نظريته في مناسبة صوت الكلمة ومعناها"[22].

ويمكن اختزال هذا الباب (في إمساء الألفاظ أشباه المعاني) في الآتي:

أ–عند النحاة واللغويين:

يروي سيبويه عن الخليل بن أحمد الفراهيدي، أن العرب قالوا في الدلالة على صوت الجندب"[23]: (صر)، لأن في صوته امتدادا واستطالة. أما البازي"[24] فدلت العرب عن صوته بالفعل (صرصر)، لأن فيه تقطيعا وعدم استمرار.

كما يذكر ابن جني عن سيبويه تفسيره لوجود كثير الحركات في المصادر العربية التي جاءت على وزن: (فعلان) لمناسبة دلالتها على الاضطراب والحركة، مثل:(الغليان) و(الهيجان) و(الطيران) و(الفوران)، وما أشبه ذلك. يقول رمضان عبد التواب في هذا السياق :"وهذا الذي ذكره ابن جني، يصح في بعض نصوص اللغة العربية، دون غيرها، فلو أننا نظرنا مثلا إلى الآية القرآنية التي يقول فيها الباري سبحانه و تعالى

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

:"وغلقت الأبواب وقالت هيت لك" (سورة يوسف23) لأحسسنا بصوت المزاليج وهي تحكم رتاج الأبواب، وينعدم هذا الإحساس مع الفعل:(أغلق) الذي يدل على مجرد الإغلاق"[25].

ب–عند نقاد الأدب العربي القديم:

لقد نزع كثير من نقاد الأدب منزع اللغويين، في محاولة عقد الصلة بين اللفظ ومعناه، فهذا هو ضياء الدين بن الأثير (ت637 هـ) يكمل مسيرة ابن جني وأسلافه من علماء اللغة العربية، حول مناسبة الألفاظ للمعاني، فيقول:" اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان، ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه، فلابد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا"[26]. ومن هنا نشأت الفكرة أو النظرية التي تقول:" إن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى".

و لذلك يجب أن لا ننساق وراء الفكرة و تفهمها على كل مثال وجدت فيه هذه الظاهرة فقد تكون هناك – مثلا – كلمتان تدلان على معنى معين، غير أن إحداهما مقتطعة في الأصل من الأخرى، و ليست الثانية مزيدة منها، كما توهم علماء البصرة ذلك في (السين) و(سوف) فقالوا: إن(سوف) تدل على الاستقبال البعيد، و(السين) تدل على الاستقبال القريب. "وليس في نصوص اللغة العربية ما يشهد لتكلفهم هذا، فقوله تعالى:" فسيكفيكهم الله" (سورة البقرة136). ليس معناه تحقق هذه الكفاية في الغد، كما أن قوله تعالى:"ولسوف يعطيك ربك فترضى" (سورة الضحى5) ليس معناه تأخرا لإعطاء عاما أو عامين، بل إن الحقيقة أن (سوف) أقدم من (السين)، وأن (السين) جزء مقتطع منها. فمن الحقائق المقررة عند المحدثين من علماء اللغة أن كثرة الاستعمال تبلي الألفاظ"[27].

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

سادسا: دلالة الجرس أو الصوت

عرض وتحليل ومقاربات أنطولوجية

لقد لخص الخليل بن أحمد الفراهيدي، ومن سار على منهجه إلى نوع من الفهم بغرض وجود صلات دائمة بين اللفظ ودلالته، قال الخليل:" كأنهم توهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا:صرصر"[28].

كما رأى سيبويه:" أن النزوان والنقزان، والقفزان أشياء تدل على زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع، ورأى أن الغليان والغثيان واللمعان والخطران مصادر تفيد الحركة والاضطراب أينما جاءت"[29].

نستشف من هذه المصادر أهمية هذه العلاقة التي تربط اللفظ بمعناه، وهي التي مازالت حتى اليوم حجر الزاوية في كل دراسات فقه اللغة وعلم الدلالة والصوتيات، ويعبر ستيفن أولمان عن أهمية الدراسة بقوله:"إن نواة دراسة علم الدلالة، هي العلاقة ذات القطبين بين وجهيها المتداخلين العلامة signe، وهذا يقابل اللفظ عند علماء العرب، والشيء المدلول عليه signifiant، أي: بين ما يدل على معنى، والشيء المعني"[30]، وفي هذا السياق يقول أحمد مختار عمر:"إن هذا النوع من الصوت ذو صلة بعلم الدلالة والرابط بينهما هو المعنى، فإذا كان علم الدلالة هو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى، فإن الصوت هو حركة المعنى وليس بينهما انفصال ولإدراك أحدهما ينبغي اكتشاف الآخر معه "[31].

ومن هذه المقاربات المفهومية، نرى جهد ابن جني لربط الصيغ بالدلالات، وتلك هي نظرته الأولى التي مكنته منها أذنه المحللة للأصوات ولطبيعة العلاقة بين التوكيد الصوتي والدلالة. لقد اعتقد ابن جني "أن العرب كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت Azimut الأحداث المعبر عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها"[32].

وبوحي هذه النظرية (جريان أصوات الحروف على سمت الأحداث) يسوق ابن جني كثيرا من الأمثلة، يمكن حصرها في الآتي:

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

1-خضم وقضم: فالخضم لأكل الرطب، والقضم للصلب اليابس. وقد علل ابن جني رأيه هذا، بشواهد فقال القدماء يقولون:"قد يدرك الخضم بالقضم". أي: قد يدرك الرخاء بالشدة واللين بالشظف، وبنفس الروح المعللة يقول ابن جني :"إن الخاء لرخاوتها قد اختاروها للرطب، وإن القاف لصلابتها اختيرت لليابس، وذلك حذو لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث"[33].

2-ومن قبل ابن جني ذكر الكسائي(ت189هـ) أن القضم للفرس والخضم للإنسان على حين قال غيره: إن القضم بأطراف اللسان، والخضم بأقصى الأضراس"[34].

ومنها قولهم: النضح للماء، والنضخ لما هو أثقل من الماء. وعلة ذلك أن الحاء –لرقتها–جعلت للماء الضعيف وأن الخاء –لغلظها–جعلت لما هو أقوى من الماء.

3-ومنها الوسيلة والوصيلة: والمعنى هنا لا يختلف في أصله، ولكنه مختلف في نوعه أو درجة توكيده، ويعلق ابن جني على هذا الخلاف بقوله المحكم:"الصاد–كما ترى أقوى صوتا من السين، لما فيها من الاستعلاء. والوصيلة أُقوى معنى من الوسيلة. وذلك أن التوسل ليست له عصمة الوصل والصلة، بل الصلة أصلها اتصال الشيء بالشيء وممارسته له، وكونه في أكثر الأحوال بعضا له، كاتصال الأعضاء بالإنسان وهي أبعاضه، ونحو ذلك. والتوسل معنى يضعف ويصغر، أي يكون المتوسل جزءا من المتوسل له. وهذا واضح، فجعلوا الصاد لقوتها للمعنى الأقوى، والسين لضعفها للمعنى الأضعف"[35].

4- لم يقف ابن جني في نظريته على شواهد منفردة، وقد ساق عديد الأمثلة التي تؤكد تلازم العلاقة بين صوت الكلمة ومعناها." و فرق الدلالة مع فرق الصوت، وخاصة فيما بين السين والصاد فقد قالوا: صعد وسعد وخصوا صعد بما فيه أثر مشاهد يرى.

وقالوا هو سعيد الجد بمعنى هو عالي الجد. فكأنهم جعلوا الصاد لقوتها على ما يشاهد من الأفعال المتجشمة. وجعلوا السين لضعفها فيما تعرفه النفس و إن لم تره العين. ويضيف ابن جني لذلك:"إن الدلالة اللفظية أقوى من الدلالة المعنوية". والذي يعنيه بالدلالة اللفظية هو الدلالة التي يرتبط فيها اللفظ بمعنى محسوس، وليس بمعنى مجرد. وهذا يساير الاعتقاد الشائع عند نفر من اللغويين في أن أصل المعاني

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

محسوسات، ثم توالدت منها المعاني المجردة أو المعنوية، بل وربما تكون كيفية الاستعمال هي التي نفثت الروح بين المجردات وأصولها المحسوسات. ومازال اللغويون يذكرون مثل أبي عمرو بن العلاء حين قال:" إن أصل الخيلاء من الخيل، وأن الصلة بين الخيلاء ومشية الخيل دافعة لذلك الاعتقاد."[36]

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة

1. محمود عكاشة: التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة.
2. أحمد محمد قدور: اللسانيات وآفاق الدرس اللغوي.
3. محمد علي الخولي: معجم علم اللغة النظري.
4. مهدي المخزومي: في النحو العربي–نقد وتوجيه–
5. محمود السعران: علم اللغة–مقدمة للقارئ العربي–
6. رومان ياكسبون: ست (6) محاضرات في الصوت والمعنى.
7. عبد العزيز مطر: علم اللغة وفقه اللغة.
8. عثمان بن جني: الخصائص.
9. ابن منظور: لسان العرب.
10. بدر الدين الزركشي: البرهان في علوم القرآن.
11. أحمد مختار عمر: لغة القرآن.
12. محمد الحسناوي: الفاصلة في القرآن.
13. مخطوط أطروحة دكتوراه موسومة: البنية الإيقاعية في الخطاب القرآني/ عبد الرحيم عزاب جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة 2010.
14. جلال الدين السيوطي: المزهر في علوم اللغة و أنواعها.
15. رمضان عبد التواب: بحوث و مقالات في اللغة.
16. ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر.
17. رمضان عبد التواب: التطور اللغوي وعلله وقوانينه.
18. ستيفن أولمان: دور الكلمة في اللغة.
19. أحمد مختار عمر: علم الدلالة.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

المحاضرة السادسة: علاقة اللفظ بالاستعمال المعرب/التعريب

خطة الدرس وبناؤه المعرفي :

مقدمة

1-الإطار المفاهيمي:

1-1-مفهوم التعريب.

2-2- مفهوم المصطلح.

2-المصطلح الأدبي أية دلالة...

أ-الانحراف: la déviation

ب-العدول:L'écart

3-المصطلح المعرب مفهوما و إجراء...

4-الترجمة بما هي فهم ووصل بين لغتين

الأستاذ عبد الرحيم عزاب

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

مقدمـــة:

إن عملية تعريب الأدب بوجه عام و تعريب المصطلح الأدبي بوجه خاص ، ذات أهمية بالغة في بناء المعرفة الأدبية باللغة العربية وقد عرف العالم العربي تجارب متعددة ومتباينة في تعريف علم الأدب و المصطلح الأدبي ، فهناك مصطلح واحد للدلالة على أشياء متعددة وثمة أكثر من مصطلح للدلالة على شيء واحد، ومرد ذلك ومرجعه إلى تداخل فروع العلم والمعرفة ثم الى تعدد واضعي المصطلح في الوطن العربي، و اختلاف ثقافاتهم. وقد عمل هذا البحث على دراسة إشكالية تعريب بعض من المصطلح الادبي وتحليل مختلف القضايا المرتبطة بهذه الإشكالية. ولاشك أن تعريب المصطلح الادبي يعرف إشكاليتين رئيستين:

الإشكالية الأولى: إن المصطلح الأدبي العنصر الأساس في منظومه الفكر النقدي و الوجه الحقيقي لمشروع بناء النص و قراءاته.

الإشكالية الأخرى: إن عمليه تعريب المصطلح الأدبي ليست عملا تقنيا أو فكرا يسبح في الخيال، فالثقافة العربية تتوفر على مصطلحاتها الأدبية المرتبطة بالتراث العربي إضافة الى النهضة المعاصرة التي واكبت السيرورة المعرفية في شتى طيفها الإبداعي:

من الكلمة الى الجملة ومن النص الى القارئ و من الوظيفة الأدبية الى الشفرة الى قناة التواصل.

1–الإطار المفاهيمي:

1–1–مفهوم التعريب: يدل مصطلح التعريب على ما هو عام و ما هو خاص و المادة المعجمية تحيل على الإبانة و الإفصاح وربما كثرة التداول وتعدد الدلالة قد يقع في المشترك اللفظي، إذ صار يحيل على ثلاثة مفاهيم مختلفة حددها شحادة الخوري بـ(تعريب اللفظ) و (تعريب النص) و (تعريب المجال)[1] .

حيث يختص المفهوم الأول بدلالة تقنية مرجعها فقه اللغة الذي يعرف (المعرب) l'arabisé بأنه" ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها. قال الجوهري في الصحاح (ت 453 هـ) : ((تعريب الاسم الأجنبي أن تتفوه به العرب على مناهجها))[2] أما المفهوم الثاني فيجعل من التعريب مرادفا للترجمة و يصبح تعريب نص ما يعني نقله الى العربية بينما يختص المفهوم الثالث بدلالة ثقافية عامة تقضي بجعل اللغة العربية أداة تعبيرية في حقل معرفي ما أو فضاء تواصلي communicatif معين، مثل: تعريب التعليم العالي في دولة ما أو تعريب الإدارة الجزائرية مثلا. ولا يهمنا من التعريب في هذا المقام إلا مفهومه الأول الدال على صبغ الكلمة بصبغة عربية عند نقلها بلفظها الأجنبي الى اللغة العربية [3]مثل كلمة تلفزيون télévision فيكون الناتج كلمة ((أعجمية باعتبار الأصل عربية باعتبار الحال))[4] .

((لن نتمادى في الحديث عن مفهوم التعريب بين القدامى و النزاع الحاد بين أنصار التعريب و معارضيه و مناهج علماء التعريب، لأنها مسائل سبقنا إليها باحثون أشبعوها درسا، أمثال:

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

1-إبراهيم الحاج يوسف: دور مجامع اللغة العربية في التعريب.

2-حامد صادق قنيبي: دارسات في تأصيل المعربات و المصطلح.

وكذلك كتابه: المعاجم و المصطلحات.

3-محمد فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح.

4-محمد طبي :وضع المصطلحات .

5- بول ريكور: إشكاليات الترجمة sur la traduction ، ترجمة و تقديم عبد الرحمان مزيان .

و لكننا نكتفي بالقول: ((إن التعريب من أهم الوسائل التي نلجأ إليها لتكثير اللغة و تطويعها للمصطلحات العلمية الجديدة))[5].

و لاشك أن التعريب يسهم إلى حد بعيد في إغناء اللغة من خارجها. ((ومن المفيد إذن أن نجعل من التعريب و سيلة موقوتة لاستقبال المصطلحات العلمية الوافدة من الخارج لكن من الخطأ أن يجري مع مرور الزمن ترسيم هذه الوسيلة الموقوتة مقابلا أبديا للمفهوم المعرفي المراد احتضانه))[6].

و ينبني على ما تقدم أن لمصطلح التعريب أكثر من معنى مستمد أساسياته من وضعية النسب اللغوية المتروكة من لدن المستعمر بكل بلد عربي، فلا غرو أن تتعدد المفاهيم و لكن الذي يدور في الأذهان أكثر، و الذي نأخذه نحن في بلدنا و ندرجه في هاته الكتابة: هو تحويل الكلمة الفرنسية (الأجنبية) مع وضعيتها الأصلية و إخضاعها لإيجاد المقابل باللغة العربية، و قد ينجر عن هذا إحداث بعض الزيادة أو النقصان أو الحذف، أو الإبقاء على الأصل في البنية الأساسية للكلمة... وهذا حسب قواعد اللغة.

إذن فالمعرب هو الكلمات المنقولة من الأجنبية الى العربية، سواء وقع التبديل أو لم يقع.[7]

1-2- مفهوم المصطلح:

نحن بإزاء ثنائية لفظية، تعنى بإدراج المصطلح للأدب، و لكن يجدر بنا معرفة كل لفظ في سياقه المعجمي و الدلالي، فكلمة المصطلح مصدر ميمي للفعل اصطلح من المادة صلح، و قد حددت المعاجم العربية دلالة هذه المادة بأنها (ضد الفساد)[8] ودلت النصوص العربية على أن كلمات هذه المادة تعني أيضا الاتفاق، قال الجرجاني في كتابه التعريفات: ((إن الاصطلاح عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضوعه))[9] و أضاف بأن المصطلح: ((اخراج اللفظ من معنى إلى معنى آخر لمناسبة بينهما))[10] ومع التطور الذي عرفته العلوم في الحضارة العربية الإسلامية، تخصصت دلالة كلمة اصطلاح لتعني الكلمات التي وقع الاتفاق عليها لتستخدم بين أصحاب التخصص الواحد للتعبير عن المفاهيم العلمية ضمن التخصص المعين، وبهذا المعنى استخدمت أيضا كلمة مصطلح.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

و قد أضحى الفعل اصطلح يحمل كذلك هذه الدلالة الجديدة المحددة[11] .

وفي تراثنا العربي المصطلحي، فقد أشار القلقشندي (ت 832هـ) في صبح الأعشى: ((على أن معرفة المصطلح هي اللازم المحترم و المهم المقدم لعموم الحاجة إليه و اقتصار القاصر عليه))[12].

كما نوه التهانوي (ت1191هـ) في كشف اصطلاحات الفنون بأهمية المصطلح قائلا: ((إن أكثر ما يحتاج في العلوم المدونة و الفنون المروجة إلى الاستفادة هو اشتباه الاصطلاح، فإن لكل علم اصطلاحا به إذا لم يعلم بذلك لا يتستر للشارع فيه إلى الاهتداء سبيلا و لا فهمه دليلا))[13].

و يلخص أحد الباحثين المعاصرين الشروط الواجب توفرها في المصطلح كالآتي:

1-إتفاق العلماء عليه للدلالة على معنى من المعاني العلمية، مثل: اللسانيات، الألسنية، علم اللغة

La linguistique – science du langage

2-اختلاف دلالته الجديدة عن دلالته اللغوية الأولى، مثل: الانزياح، المفارقة، العدول

L'écart – la déviation – l'abus

3-وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلوله الجديد و مدلوله اللغوي العام[14].

و قد اختلف الدارسون على رأيين في حد المصطلح :

الرأي الأول: إن حد المصطلح ((كلمة تتميز بانتمائها إلى معجم خاص، و باستعمالها من قبل المختصين في ميدان معرفي محدد))[15]

الرأي الآخر: يطلق المصطلح على الكلمة ((المفردة أو المركبة ذات الحمولة الدلالية الواضحة التي تستعمل لأداء معنى أو مفهوم معين))، مثل:

نص سردي: texte narratif

نص شعري :texte poétique

شعر:poésie

نثر: prose

قصيدة:poème

أدب:littérature

نقد أدبي:critique littéraire

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

نقد النقد: méta critique أو critique de la critique وهكذا.....

و ما يمكن استنتاجه من هذا العرض أن المصطلح يعتبر الحامل للمضمون العلمي للغة، و أنه لازمة للمنهج العلمي، و أضحى لا غنى عنه في ما يعرف بـ (مجتمع المعلومات)

Société des informations

أو مجتمع المعرفة Société de savoir

حتى إن الشبكة العالمية للمصطلحات في فينيا بالنمسا اتخذت شعار (لا معرفة دون مصطلح)

ni savoir sans terme

و أما كلمة أدب littérature فقد تطلق و يراد بها معان متعددة ، ففي اللسان لابن منظور:

أدب القوم يؤدبهم أدبا إذا دعاهم إلى طعامه، و الأدب الداعي إلى الطعام. و لم تكن لفظة الأدب قبل الإسلام بمعناها الذي استقر، و إنما كانت تعني الخلق كما ورد في سنة نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم القولية: ((أدبني ربي فأحسن تأديبي، وربيت في بني سعد)).

و كانت تعني الكلمة ثقافيا في القرن الأول للهجرة بتربية أولاد الخلفاء و الأمراء و الميسورين، ثم أخذ مصطلح الأدب معنى علميا جديدا و انحصر في الآثار الفنية المكتوبة و ما يتصل بهما من شعر و نثر، و تحدد معناه في مقدمة ابن خلدون بعد قرون.

وفي كتاب الجاحظ ورسائله إشارات إلى مصطلح الأدب و من ذلك: ((أطلب الأدب فإنه دليل على المروءة وزيادة في العقل و صاحب في الغربة وصلة في المجلس)).

وقد ذكر بعض أهل الأدب و كأنه يريد بهم أهل الفهم و المعرفة. و المؤدب عند الجاحظ مشتق من الأدب و هو((الثقافة، و إنما الأدب عقل غيرك تزيده في عقلك. و هو الخلق و الأدب، إما خلق و إما رواية، و قد أطلقوا له إسم المؤدب على العموم))[17] .

فالأدب عند الجاحظ: ((هو كل ذلك، و هو صناعة الكلام البديع، و هو الكلام الرائع.))[18].

و قد اتجه أبو يعقوب السكاكي (ت626هـ) هذا الاتجاه في فهم الأدب قال: ((وقد ضمنت كتابي هذا من أنواع الأدب دون نوع اللغة ما رأيته لابد منه، و هي عدة أنواع متآخذة ، وذكر علم الصرف و علم النحو و علم المعاني و علم البيان و علم الحد و الاستدلال و علم العروض و علم القوافي، و تبعه

بدر الدين بن مالك في هذا الاتجاه و عرف الأدب بقوله: ((هو معرفة ما يحترز به من جميع وجوه الخطأ في العربية))[19] .

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

وقد اجتمعت هذه المعاني في الأديب، و صار هو الشاعر أو الناثر، و بدأت لفظة الأديب تأخذ مسارا واضحا بعد القرن الثاني للهجرة إلى اليوم، لتختزل في سنن معرفة علم العربية من نحوها و صرفها و بلاغتها و معرفة أمثال العرب و أيامهم و الاطلاع على مؤلفات المتقدمين و المتأخرين من أرباب الصناعة المنظومة و النثور... لكن كلمة أدب في عصرنا الراهن شكلت طيفا إبداعيا و رصيدا ثقافيا في شتى الأشكال التعبيرية ((حيث تندرج تحتها أشكال و أجناس و أنواع أدبية متعددة، مثل الشعر و الرواية و المسرحية و القصة القصيرة... ومن المفيد أن نذكر أن الدارس الأدبي يجد في العصر الحديث دراسات نقدية و علمية تحاول أن تضع مقومات و قواعد لكل نوع أدبي، فهناك ما يسمى بنظرية الشعر، ونظرية الرواية، و نظرية المسرح الملحمي و نظرية القصة القصيرة))[20] .

فلفظة أدب من هذا المنظور النقدي كلمة مطاطية تعني التعبير بالكلمة الجميلة عن تجربة إنسانية عميقة. وقولنا التعبير بالكلمة يميز الأدب عن الأشكال التعبيرية و الفنية الأخرى، التي تعبر بواسطة الصوت أو اللون أو الحركة أو الإشارة، وقولنا عن تجربة إنسانية عميقة ينفي صدور الأدب عن مشاعر سطحية لا مسوغ لها.

2–المصطلح الأدبي أية دلالـة:

لابد لكل علم من توفر شروط معينة هي:

الموضوع و المنهج و وسائل البحث و القاموس أو المعجم الخاص، و هو مجموع المصطلحات المستعملة في هذا العلم، و ترجع أهميته في توحيد المصطلح وضمان التفاهم بين الباحثين في الحقل المعرفي الواحد، إذ لا علم بدون فهم، و لافهم بدون تذليل عقبة المصطلح.

و المصطلح الأدبي في حد ذاته مصطلح مركب ، يحدد ماهيته المصطلحية في الخطاب النقدي الذي يعد عملا مكملا للأدب و مفسرا لمقوماته الإبداعية، و هو أي النقد فعالية قرائية و استراتيجية نصية، و سنحاول في هذه الورقات البحثية تنزيل بعض مسارات المصطلح النقدي على اللغة العربية و أدبها من منظور تحليلي كموني potentiel مركزين على سمت أسلوبي و ملمح جمالي بين العربية و الفرنسية ألا هو مصطلح الانزياح، حيث يرد بمعان شتى في العرف العربي:

–الانزياح l'écart لفاليري

–التجاوز l'abus لفاليري

–الانحراف la déviation لسبيتزر

–الإضلال la désorption لويلك و وارين

–الإطاحة la subversion لبالي

–المخالفة l'infraction لتيري

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

-الشناعة le scandale لبارت

-خرق السنن la violation des normes لتودوروف

-اللحن l'incorrection لياكبسون

-العصيان la transgression لأراجون

-التحريف l'altération لجماعة مو

نجد في المقابل ألسنيا عربيا معاصرا هو صلاح فضل، الذي أضاف كلمة الكسر la fracture

كما نجد عدنان بن ذريل في كتابه المدخل إلى التحليل الألسني للشعر، الذي ينسب إليه مصطلح الانزياح، ولكن بتسمية مخالفة ألا و هي : الجسارة اللغوية و الغرابة و الابتكار و الخرق.

وقد ورد عن جان كوهين فضلا عما اعتمده من الانزياح و الانحراف و الخرق، لفظ آخر مرادف للانزياح هو الخطأ. وهناك معادل بلاغي قديم مرادف لمعنى الانزياح من حيث المجال و الدلالة الوظيفية هو العدول(السياق). و ثمة مصطلحات و أوصاف أخرى يمكن أن تضاف إلى ما مضى ، مثل الانكسار، و انكسار النمط و التكسير، و الكسر، و كسر البناء، والإزاحة، و الانزلاق، و الاختراق، و التناقض، و المفارقة، و التنافر، و مزج الأضداد، و الإضلال، و الاحتلال، و الحفل، والانحناء، و التغريب، والاستطراد، و الأصالة، و الاختلاف ، و فجوة التوتر.

و لاشك أن كثرة دلالات المصطلح تشير إلى مدى أهمية ما تحمله من مفاهيم و إلى تأصله في الدراسات الغربية قبل العربية، و كل هذه المصطلحات ذات أصول أجنبية تفقد كثيرا من اللياقة، وليس لها في المترجمات العربية أو في كتابات الباحثين العرب حظ من الشيوع و الاستعمال. و لعل الأشهر منها في الاستعمال نجد:

الانحرافla déviation ، و العدول contexte ، والانزياح L'écart أو النسق.

إن الحديث عن التعريب و الترجمة في العربية كمفهوم و إجراء يقودنا حتما الى الارتحال عبر النصوص و الأخطبة و هو بدوره يقودنا الى الحديث عن هذا الفن التواصلي بين تعدد الألسن لإنشاء فضيلة التقارب و الحوار بين الحضارات بالرغم من الطابع الخلافي différentiel كما رأى ذلك دوسوسير ومن بعده أندريه مارتيني A.martinet فإن أية لغة مهما كان مستواها فإنها تبدو كمنظومة إشارية سيميائية لها بنيتها الخاصة و قوانينها الداخلية التي تتحكم فيها، و لا يمكن أن تتناسل المعاني و تنتج الدلالات إلا عن طريق اختلافها، و قد نجد أن هذه الأطروحة thèse ضاربة جذورها في الفكر الفلسفي للغة و قد عبر عنها أصدق تعبير الإمام عبد القاهر

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

الجرجاني (ت471هـ) رحمه الله قائلا: ((إن اللغة تجري مجرى العلامات و السمات، و لامعنى للعلامة و السمة حتى يتحمل الشيء ما جعلت العلامة دليلا عليه و خلافه))[25] .

و في هذا الصدد يقول إدوارد سابير E.sapir : ((إن اللغات مختلفة بالأساس لهذا فنحن نترجمها))[26].

إن المقاربة التواصلية و ثنائية المثافقة acculturation بين المصدر والهدف، تبين لنا أن فعل الترجمة هو شكل من أشكال التواصل و تخضع لنفس الضوابط التي حددها رومان ياكبسون بفعل التواصل و لكن بإزاحة décalage لمستويات النص/الرسالة/الخطاب، و إذا كانت أطراف عملية التواصل تتكون حسب ياكبسون من مرسل و مرسل إليه تربطهما رسالة في التخاطب العادي، فإن المرسل هو اللافظ أي الهيئة المنتجة للخطاب/النص.

و المرسل إليه و هو المتلقي للخطاب هو موضوع الخطاب فإن الوضع الترجمي يفرض وجود متلقيrécepteur جديدا لنفس الرسالة و هكذا...

وضمن هذا المستويات في الفعل الترجمي بوصفه قدرة عقلية faculté mentale وحجاجية argumentatif وأثر جمالي و دلالي، تتحق مهمة الترجمة و المترجم في آن.

3–المصطلح المعرب مفهوما و إجراء:

نماذج من المصطلح المعرب بين الوضع الأجنبي و الاستعمال العربي:

إن من دواعي الميل الى التعريب، في سياقات معينة، هو الطموح الى تحقيق تكافؤ مورفولوجي ما بين اللغات المنقول منها و المنقول إليها، يمثله شكل من أشكال التعادل الكمي في الوحدات التركيبية للمادة اللغوية مثل: مونيم، و غرافيم، و فونيم، وسيم،....

بدلا من القول:

–الوحدة اللغوية الصغرى: monéme

–وأصغر وحدة كتابية: graphéme

–و الوحدة الصوتية الدنيا: phonéme

–و أصغر وحدة معنوية: séme

و بهذا التصور اللغوي، فإن إحياء التعريب هو قتل (للإحياء) العربي، فترجمتنا للمصطلح الأجنبي sémiologie بالصيغة المعربة (سيميولوجيا) و sémiotique بالصيغة المعربة (سيميوطيقا) هي طمس للمصطلح الإحيائي الذي يقترحه آخرون (على السيمياء) فكأن كلا من التعريب و (الإحياء) يعمل ضد الآخر و على حسابه.. في كثير من الحالات، علما أن المعايير الاصطلاحية العربية (وفقه اللغة العربية عموما) تدرج التعريب ضمن الآليات الاضطرارية لا الاختيارية، فان كثيرا من الجهود الاصطلاحية العربية قد حولت هذه الآلية الى مخرج اختياري دون أن يضطرها الى ذلك ما يستحق الفعل27

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

و قد لجأ السيميائي الجزائري رشيد بن مالك، مثلا الى تعريب عشر مواد من قاموسه السيميائي ذي المئتي مادة اصطلاحية (إيزوتوبيا، موتيف، سيمنتيم، سيم، سيميم، سيميولوجيا، تيمي، تيم، طوبيقي، إيطوبيقي) وهكذا نرى أن التعريب قد تحول إلى موضة لغوية تتخلل بعض الكتابات النقدية.. و في أمثلة أخرى نراها عند بشير القمري الذي عرب مجازاته النقدية، بمثل هذه النفحات التعريبية:

(الكومبرس، الإبستمولوجي، البويطيقا، الأوتوبيوغرافيا، الميتانقدية، الإستطيقية، الأركيولوجية، الأليقوريا، البوليفونية..)28

و جلها كما ترى و تسمع مستقاة من اللغة المنقول منها:

-الممثل الصامت أو الثانوي: Comparse

-و الشعرية: Poétique

-و السيرة الذاتية أو (الترجمة): Autobiographie

-و الجمالية: Esthétique

-وعلم الآثار: Archéologie

-وتعدد الأصوات: Polyphonie

و تعدت هذه الموضة التعريبية إلى المصطلح الفلسفي، مثل:

-و الأصل: Géanologie

-و المثالية: Utopique

-و الأخلاق: Ethique

-و التأويل: Erméneuthique

-و الميتافيزيقا: Métaphysique

-و التعصب: Dogmatique

-و النفعية: Pragmatique

-و الخرافة: Mythologie

-و الظاهراتية: Phénoménologie

-و منهجية: Méthodologie وهكذا...

((و قد يلجأ بعض الدارسين، في نقل المصطلحات الأجنبية إلى التعريب الجزئي بدلا من تعريب الكلمة كلها، حين يتعلق الأمر بمصطلح مستهل بسابقة (Préfixe) أو منته بلاحقة (Suffixe)، كما في قولهم:

-فينونص: Phénotexte

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

-و جينونص: Génotexte

-و ميتانص: Métatexte

-و مصطلح ما بعد المودرنية: Postmodernisme

على أساس ترجمة السابقة Post بـ: (ما بعد).

و هو مصطلح ما بعد الحداثة: Postmodernisme))[29]

قياسا على ما تم في العربية، من نقل أسماء الحركات الأدبية و المصطلحات الفلسفية:

-الرومانسية: Romantisme

-و السوريالية: Surréalisme

-و الكلاسيكية: Classisme

-و سيكولوجيا: Psyshologie

-و سوسيولوجيا: Sociologie

-و ميتالغة: Métalanguage

-وميتانقد: Métacritique

و قد اختلف الدارسون في كم التعريب (جزيئا أو كليا) فقد اختلفوا في كيفية تعريب الصيغة الواحدة، مثلما رأينا في مصطلح Poétique، الذي عربوه بصيغ شتى مثل : (البويتيك، البويطيقا، البويتيقا، البويتيكا)[30]

((و على العموم فإن هذا الاختلاف راجع إلى اختلاف اللغات المعرب عنها، و إلى اختلافهما في اختيار الحروف العربية لتعريب الحروف الأجنبية التي لا مقابل لها في العربية (P-V-G-U) وقد وجد التعريب في الجزائر المقابل لها (ب-ف-ج-أ).

و قد دعا إبراهيم السامرائي إلى الحرص، في نهاية الكلمات المعربة، على التمييز بين اسم العلم و بين ما ينسب إليه))[31]

كأن نقول-مثلا- السيميولوجيا Sémiologie بمعنى اسم العلم، و السيميولوجية Sémiologique بمعنى النسبة أو الصفة.

((أما بشأن السوابق و اللواحقPréfixes et Suffixes ، و ترجماتها، فأذكر أنه سبق لمجمع اللغة العربية في القاهرة معالجة بعضها، و هناك شبه اتفاق على الآتية:

-في ترجمة الصدر a أو an، يدل على معنى النفي تقرر وضع (لا) النافية مركبة مع الكلمة المطلوبة، مثل: لا تماثلي و لا نفطي و لا هوائي تقرر أن يترجم الصدر: hyper

بكلمة فرط، و الصدرhypo بكلمة هبط.

و تترجم الكلمات المنتهية باللاحقة able، بالفعل المضارع المبني للمجهول، و ينطبق هذا أيضا على اللاحقة ible فنقول في portable و يترجم الاسم منها بالمصدر الصناعي، فيقال منقولية و مطروقية و مأكولية...))[32]

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

((و للفائدة، فإن بعضا من مختصرات توصيات مؤتمر التعريب السادس بالرباط المنعقد بتاريخ 26 سبتمبر .1988

1-إن اللغة العربية مقوم رئيسي من مقومات وجود الأمة العربية، و كل ضعف أو إضعاف يصيب اللغة هو خطر يهدد الكيان العربي.

2-إن تأصيل العلوم لا يكون إلا بلغتها، و لذلك فإن إلحاق الوطن العربي بالحضارة العالمية المعاصرة و مواكبته لها... يجب أن يبدأ باستخدام اللغة العربية في التدريس و إعداد المصطلحات العلمية الموحدة.

3-التعريب أداة من أدوات الارتقاء بالعربية في شتى التخصصات العلمية...

4-الهدف من التعريب هو توحيد المصطلح العلمي و تطبيقه في جميع المجالات)).33

4-الترجمة بما هي فهم ووصل بين لغتين:

4-1-المدلول الأدبي (اللغوي) للترجمة:

الترجمة في اللغة لفظ مرداف للفهم و البيان، و تعني نقل كلمة من لغة إلى لغة أخرى عندما تتشابه مفاهيم أصول الدلالة اللغوية، ((وبذا تكون الترجمة هي: نقل المصطلح الأجنبي إلى اللغة العربية بمعناه لا بلفظه))34 فالمصطلح المعرب مثلا هو كل كلمة أجنبية تدخل العربية و تخضع للأبنية و الحروف و الصوت (الموسيقى)، حيث تصبح جزءا من البناء العربي، ويصعب على الإنسان معرفة أعجميته المعربة، مثل: تيلفون، تيلفزيون، ((لأن التعريب l'arabisation يستمد أساسياته من وضعية النسب اللغوية المتروكة من لدن المستعمر بكل بلد عربي. من هنا يجب على المترجم Traducteur و هو يعنى بنقل المصطلح من لغة إلى لغة أخرى-دلاليا- أن يتخير من الألفاظ العربية ما يقابل المصطلح الأجنبي))35 مثل:

علم الدلالة في التعريب السيمانتيك و في الترجمة La sémantique

الشعرية في التعريب البويطيقا و في الترجمة La Poétique

التأويل في التعريب الهرمينوطيقا و في الترجمة l'herméneutique

هنا تغدو الترجمة شكلا من أشكال الاشتقاق تماما، كما لو تكون الترجمة لفظية، فتغدو تعريبا، لذلك لم نتوسع في الحديث عن الترجمة، مع التسليم المسبق بأهميتها العظمى في مجال التنمية الاصطلاحية من حيث المفاهيم و تعدد المعاني.

4-2- المفهوم الفلسفي للترجمة:

تعني الترجمة في المفهوم الفلسفي، انتقال المفاهيم و التجريب من النص الأصلي المرسل إلى النص الراهن المرسل إليه، عبرة شفرة القراءة و التلقي،((وتشير ترجمة المفهوم الفلسفي إشكاليات عديدة ، ثقافية و لغوية و اصطلاحية و تداولية، و تبرز هذه العملية اختلاف طرق انتقال المفاهيم بين الأقاليم الحضارية و تعددها، وكيفية توظيفها و استثمارها في الإقليم الذي تتأرضن فيه من جديد))36.

ولاشك أن ترجمة المفهوم الفلسفي، هي عملية تحويل له، تتغير معه مركباته و المشكلات التي يثيرها.

و انطلاقا من كون الترجمة تأويلا interprétation، يتم وفق سياقات contextes تختلف باختلاف اللغات البشرية، لذلك قد يتخذ هذا التأويل الترجمي أشكالا متباينة، تتباين معها مكونات المفهوم و دلالاته اللغوية و الاصطلاحية، بوصفه ينتج تناصا Intertexte يتجاوز تفسير مكونات النص المترجم.

إن الحديث عن الترجمة في العربية، كمفهوم و إجراء (نسق) يقودنا حتما إلى الارتحال عبر النصوص و الأخطبة، وهو بدوره يجرنا إلى الحديث عن هذا الفن التواصلي Communicatif بين تعدد الألسن، لإنشاء فضيلة التقارب و الحوار بين الحضارات Dialogue

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

entre les civilisations و بالرغم من الطابع الخلافي Différentiel، كما ذهب إلى ذلك فرديناند دوسوسير F.de Saussure و أندري مارتيني KA.Martinet فإن أية اللغة مهما كان مستواها، فإنها تبدو كمنظومة إشارية لها بنيتها الخاصة و قوانينها الداخلية التي تتحكم فيها.

ولا يمكن أن تتناسل المعاني وتنتج الدلالات إلا عن طريق اختلافها، وقد نجد هذه الأطروحة Thèse ضاربة جذورها في الفكر الفلسفي للغة، و قد عبر عنها أصدق تعبير الإمام عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) رحمه الله في دلائل الإعجاز، قائلا: ((إن اللغة تجري مجرى العلامات و السمات، و لا معنى للعلامة و السمة حتى يتحمل الشيء ما جعلت العلامة دليلا عليه و خلافه))37.

فالعلامة عند دو سوسير تتكون من الدال و المدلول، أما عند بورس فهي مكونة من الدال و المدلول و المرجع، أما الذين عرفوا العلامة بعد دو سوسير و بورس فكانت تعريفاتهم لهذه الأخيرة تستند على أقوال لكليهما مع بعض الاختلاف، ومن بين هولاء الناقد الإيطالي أمبرطو إيكو الذي عرف العلامة بعدما قرأها على سابقيه و أدلى بها بشيء آخر، ((حيث بلور رؤية للعالم تتخذ من العلامات سبيلا وحيدا إلى القول بشيء ما عن الحياة...مؤكدا أن موضوع السيميائيات و الترجمة هو المعنى و لا شيء غيره...فالوجود معنى و خارج المعنى تتساوى كل الأشياء وكل شيء عنده يتم داخل النص Texte والمستوى الثقافي الحاضن للتأويل))38.

فالعلامة عنده أي أمبرطو إيكو مرتبطة بالحركة وديناميتها، مما يجعل النص أفقا مفتوحا على كل القراءات، وهكذا تفعل الترجمة بوصفها فهما...وفي هذا السياق يقول اللغوي الأمريكي إدوارد سابير: ((إن اللغات مختلفة بالأساس لهذا فنحن نترجمها))39.

إن المقاربة التواصلية و ثنائية المثاقفة Acculturation بين المصدر و الهدف، ((تبين لنا أن فعل الترجمة هو شكل من أشكال التواصل، و تخضع لنفس الضوابط التي حددها قطب الشكليين الروس رومان جاكبسون R.Jakobson بفعل التواصل، و لكن بإزاحة decalage لمستويات النص/الرسالة/الخطاب، و إذا كانت أطراف عملية التواصل تتكون حسب جاكبسون من مرسل و مرسل إليه، تربطهما رسالة في التخاطب العادي، فإن المرسل و هو اللافظ أي الهيئة المنتجة للخطاب/النص و المرسل إليه و هو المتلقيRécepteur للخطاب، وهو موضوع الخطاب))40 ، تأسيسا على ما سبق، فإن الوضع يفرض وجود متلق جديد لنفس الرسالة وهكذا... وضمن هذه المستويات في الفعل الترجمي بوصفه قدرة عقلية faculté mentale ، تتأكد مثل هذه الإشكالية الفلسفية في ترجمة اللغة أو الأدب، و تتضح معالم هذه الرؤية الفلسفية لتؤكد شجاعة العربية في استيعاب هذه الأطروحات، حيث يرى جوليان غريماس أن العلاقة السيميائية بين النص الأصلي (المصدر) و الهدف (المترجم) تتجلى في مستويين هما:

1-مستوى التأويل (هرمينوطيقا) faire interprétatif

2-مستوى الفعل الإنتاجي faire productif

ومن هذين المستويين و تفاعلهما ينتج المعنى السيميائي لفعل الترجمة و التعريب...

ولاشك أن الترجمة، تعني قبل كل شيء إعادة القراءة و تجددها، وتتطلب المقدرة على التفكير المنفتح الواسع. ((هذا النمط من التفكير يتجدد من خلاله قراءة المفهوم اللغوي أو الفلسفي فتتعدد تأويلاته، مما يعني أن المفهوم لا يقف عند ترجمة بذاتها، مادام لا يقبل ترجمة بعينها دون سواها من الترجمات، و هذا ما جعل جاك دريدا J. Derrida يقول: ((إن النص يقبل الترجمة و لا يقبلها)).

((فالترجمة بما هي فهم، فإنها وصل بين لغتين مختلفتين، فإنها تمد إحداهما بما تفقده الأخرى في عملية تغني كلتا اللغتين))41.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

المحاضرة السابعة: العلاقة بين صوت الكلمة ومعناها

مقدمة:

يعد سؤال الصوت من أكثر الأسئلة إلحاحا في مكونات الدرس اللساني المعاصر بله التراثي، لكونه مرتبطا ببنية النص في مجالاته النحوية والصرفية والدلالية، ولعل أبرز القضايا التي يعالجها الصوت ما يتعلق بالبحث عن المعنى.

إن الشعر بناء موسيقي (صوتي) باللغة، فالموسيقى سلسلة صوتية تنبعث عنها المعاني، لأن الشعر في حد ذاته تنظيم لنسق من أصوات اللغة تنظيما يحدث نوعا من الإثارة. فالإنسان مفطور بطبعه على إيثار الصوت الموسيقي المنغوم. ولا يسمى الشعر شعرا حتى يكون له وزن وصوت وقافية، وقد ساعدت القافية بوصفها منبها صوتيا على تعريز البناء الموسيقى للشعر العربي، وأسهمت في سهولة حفظه وروايته عبر العصور.

إن الضرورة الصوتية هي ضرورة منطقية في الخطاب الأدبي، ولذلك أجمع وتواتر الدرس الصوتي والنحوي والبلاغي والعروضي على حقيقة مفادها أن الشاعر الحقيقي عندما يقول الشيء الجميل، يقول في نفس الوقت الشيء الصحيح.

إن الصوت هو حركة المعنى، وليس بينهما انفصال، ولإدراك أحدهما ينبغي اكتشاف الآخر معه، فالصوت هو بناء اللغة وبناء المعنى في آن.

فالصوت هو السبيل الأمثل الذي يستند إليه النص القرآني المقدس أو النص الشعري في حركة المعنى وتناسل الدلالة.

فالكلمات التي يبتدعها المعنى (الدلالة) لا تنفصل عن أصولها الصوتية، ولهذا قـــــال أمبرطوإيكو Umberto eco:" إن الجرس يجب أن يكون صدى للمعنى ". وهذا ما يدل في اعتقادنا على دور الإيقاع الصوتي في الوفاء بالمعنى في الخطاب الشعري، وهو أبلغ منه وأسرع في الخطاب القرآني، وبالتالي فإن الكلام الموزون والمقفى هو البحث في آلية القراءة والتلقي من جوانب متعددة، منها سرعة نفاذه إلى الفكر والتذكر...ومن هنا إشادة إلى أن "إخوان الصفا" في رسائلهم تنبأوا إلى هذه الوظيفية التواصلية Communicative لقولهم:" إن الأبيات الشعرية الموزونة والمقفاة تثير الأحقاد الكامنة وتحرك النفوس الساكنة وتلهب نيران الغضب على نحو مماثل لما تفعله الألحان الموسيقية"، إن الكلام الموزون أكثر نفاذا إلى الفكر وأبقى أثرا فيه، فعلماء النفس يقولون: "إن الكلمة الموزونة تطلق شحنات نفسية أخرى تضاف إلى المعنى الأصلي".

فالشعر أداة حفظ للعربية، ولا يسمو الشعر إلى هذه الدرجة إلا لكونه قانونا صارما لا يقتحمه إلا من كان ذا بيان رفيع وذا معجم ثري، ليتمكن من التحرك بحرية في محيط الشكل الشعري ومعناه، فالشعر جمال فضلا عن كونه حافظا للسان.

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

إن ثبات العرب على القوانين الشعرية حفاظا للسانهم فلو أنهم سمحوا لشعرائهم بالخروج عليها، فسيضعفون البلاغة والصوت الشعريين ويسمحون لكل من قال نثرا أن يدعي أنه شاعر، لاسيما وأنهم أولوا عناية كبيرة لرواية الأشعار، بل إنهم فاضلوا بين الشعراء بيانا وصوتا، فالأصمعي وابن سلام الجمحي والآمدي لم يفاضلوا بين كلام وكلام بل فاضلوا بين شعر وشعر، ولم يوازنوا بين شعر ونثر. والنوع الأدبي يخضع لسياقين كي يمتلك هويته هما الأسلوب وقوانين النظم.

أولا: الدلالة الصوتية:

علم الأصوات هو علم يدرس أصوات اللغة المنطوقة، وهو فرع من علم اللغة، ويتميز عنها بجانبه المنطوق فقط، و"الأصوات أصل طبيعة اللغة، والكتابة لاحقة عليها، فهي رمز الصوت وتجسيد مادي له".

وعلم الأصوات قديما عند العرب واحد من العلوم اللغوية التي ظهرت في القرن الثاني للهجرة. "وقد كان الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ) أول من شرع منهاجا للناس في هذا العلم الذي كانت معطياته موزعة بين معارف لغوية عامة ووجوه قرائية خاصة مما يتعلق بقراءة القرآن الكريم وتحقيق لفظه وتجويده نطقه".

أما المراد بالدلالة الصوتية، فهي تلك الدلالة المستمدة من طبيعة الأصوات وتتحقق الدلالة الصوتية في نطاق تأليف مجموع أصوات الكلمة المفردة، وتسمى بالعناصر الصوتية الرئيسة، والتي يرمز إليها بالحروف الألف بائية: أ، ب، ت، ج، ح... ويشكل منها مجموع حروف الكلمة التي ترمز إلى معنى معجمي "، فإذا حدث إبدال- أو إحلال – صوت منها في كلمة لصوت آخر في كلمة أخرى، أدى ذلك إلى اختلاف دلالة كل منهما عن الأخرى، ويعرف هذا الإحلال الصوتي في علم اللغة بالحديث عن التوازن التقابلي، إذ لا يحل فونيم phonème محل آخر في كلمة ما، فتنشأ كلمة ذات معنى مختلف".

إن الصوت عارضة لغوية تخضع لما تخضع له اللغة من عوامل الحياة والتطور، فالصوت والمعنى قسمة جمالية متوارثة متطورة أبدا، وعالم الصوت والدلالة الحق هو ذلك الذي يجري وراء اللغة يتتبع مسيرتها، ويفقه أساليبها. " فالدراسة الصوتية هي الدراسة اللغوية الأولى التي يعنى بها اللغويون، وبها يعرف الدراس كثيرا من الظواهر اللغوية التي تدرس في كتب النحو، من إبدال، وإعلال، وإدغام إلى غيرها من ظواهر لغوية لا تفهم فهما مستوعبا إلا إذا أخذت الدراسة الصوتية لها مكانا في دراسة العربية".

ثانيا: الدراسة الصوتية جزء أصيل من دراسة المعنى.

لا يمكن الأخذ في دراسة لغة ما، أو لهجة ما دراسة علمية ما لم تكن هذه الدراسة مبنية على وصف أصواتها، وأنظمتها الصوتية، فالكلام أولا وقبل كل شيء، سلسلة من الأصوات، فلابد من البدء بالوصف الصوتي للقطع الصغيرة، أو للعناصر الصغيرة، أقصد أصغر وحدات الكلمة، هذه الوحدات التي تتألف منها المقاطع Syllabes و" من المحال إذن دراسة بنية الكلمة دون التحقق الصوتي للعناصر

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

المكونة للكلمات، كما أن دراسة نظم Syntaxe الكلام قاصرة ما لم يراع فيها دراسة الصور التنغيمية Formes toniques مثلا، والدراسة الدلالية Sémantique أي دراسة المعنى لا يمكن أن تثمر ما لم ترتكز على دراسة الصور الصوتية والتنغيمية".

ويسترسل العلامة محمود السعران في تبيان القيمة العلمية والوظيفية للدراسة الصوتية قائلا:" ولا غنى للمعاجم عن الاستعانة بالثقافة الصوتية اللغوية، فالمفروض أن واجب المعاجم لا يقتصر على تبيان معاني المفردات، وتطور هذه المعاني، بل يتعداه إلى تمثيل نطق هذه المفردات، وهذا لا يكون إلا باصطناع نظام من الرموز الكتابية يكون أدق تمثيلا للنطق من الأبجدية التقليدية".

ثالثا: العلاقة بين الأصوات والمعنى علاقة جدلية.

لقد قيل عن أية كلمة ما، وبصورة عمومية " كل إشارة لغوية هي كيان ذو جانبين، فكل إشارة لغوية هي وحدة من الصوت والمعنى، أو بتعبير آخر هي وحدة من الدال Signifié والمدلول Signifiant والمخطط الذي استخدم لتمثيل هذه العلاقة يكون كالآتي:

المدلول Signifiant

الدال Signifié

وهذان المكونان الدال والمدلول متصلان بصورة جوهرية، فكل واحد منهما يستدعي الآخر..." ويؤكد رومان ياكبسون Roman Jakobsonهذه المعادلة بين الدال والمدلول والصوت قائلا:" ولكي نكون قادرين على تفسير الأفعال المتنوعة وتصنيفها لأعضائنا الصوتية، فإنه من الضروري أن تؤخذ بنظر الاعتبار الظواهر الصوتية التي تهدف هذه الأفعال إلى إنتاجها، لأننا نتكلم لكي نكون مسموعين، ولكي نكون قادرين على تفسير الأصوات المتنوعة للغتنا وتصنيفها وتحديدها، يجب أن نأخذ بعين الاعتبار المعنى الذي تحمله هذه الأصوات، فمن أجل أن نكون مفهومين نسعى إلى أن نكون مسموعين".

لقد بين دوسوسير في محاضراته، نقطة الانطلاق لدراسة العلاقة بين الأصوات والمعنى، وقد كانت موضوعا لاستخلاص كل تطبيقات هذا النوع الجديد ولتطويره فعليا: أي الدراسة المنهجية لأصوات لغة معينة من جهة النظر إلى وظائفها اللغوية. وقد تم تأسيس هذا الفرع الجديد، في فقه اللغة Philologie الذي يدعى الأن النظام الصوتي أو العلاقة بين صوت الكلمة ومعناها أو علم دراسة الفونيمات Phonèmes على يد كل من إدوارد سابير وليونارد بلومفيلد في أمريكا من جهة أو على يد لغويي حلقة براغ Prague اللسانيين الروس والتشيك الذين يعرفون في أدبيات علم اللغة بمدرسة براغ، من جهة أخرى. وقد افترضت هذه المجموعة في المؤتمر الدولي الأول الذي عقد في Prague عام 1928، وتبنت بضعة قواعد وأطروحات منهجية تؤكد أن الوصف العلمي للنظام الصوتي لأية لغة، يجب أن يتضمن

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

قبل كل شيء آخر الخصائص البارزة لنظامها الفونولوجي، أي الخصائص لخزين تلك اللغة الخاص، بمعنى الاختلافات بين الصور الأكوستيكية Acoustique الحركية الوثيقة الصلة بالدلالة.

رابعا: دور الصوت في اختلاف المعنى.

تصنف أصوات اللغة أو اللهجة إلى وحدات صوتية يطلق عليها في اصطلاح الوحدة على ما يسمى بـ: الفونيم Phonème كأن تقول: إن الوحدات الصوتية في اللغة العربية هي: الهمزة والباء والتاء والثاء والجيم والحاء والخاء...إلخ و" الحد الفاصل بين كل وحدة وأخرى هو دور الصوت في اختلاف المعنى، فعلى سبيل المثال: " اللام" في اللغة العربية وحدة صوتية متميزة مهما اختلفت صورتها من تغليظ في مثل: " وَاللَّهِ " أو ترقيق في مثل: " بِاللَّهِ ". وذلك لأن المعنى لا يختلف في حالة التفخيم عنه في حالة الترقيق. و(النون) وحدة صوتية متميزة مهما اختلفت صورتها بأن كانت متحركة في مثل (نَطَقَ) أو ساكنة في مثل (يَنْطِقُ) أو مدغمة مع الغنة في مثل (من يّفعل)، وذلك لأن المعنى لا يختلف ".

ولكن (السين) إذا فخمت فأصبحت صادا، فإنها تنتقل من وحدة (السين) إلى وحدة (الصاد) نظرا لأن المعنى يختلف في هذه الحالة، فالسين في (سَارَ) غير الصاد في (صَارَ) لأن المعنى يختلف (سَارَ = مَشَى)، و(صَارَ = تَحَوَّلَ). وهكذا كل صورتين متقابلتين من ناحية التفخيم والترقيق، كل واحد منهما يعتبر وحدة صوتية مستقلة إذا ما اختلف المعنى نتيجة لاختلاف الصوتين، فالتاء والطاء كل منهما يعد وحدة مستقلة، لأن التاء في (تَابِعٌ) غير الطاء في (طَابِعٌ) فالأول اسم فاعل من (تَبِعَ) والآخر اسم فاعل من (طَبَعَ) والمعنيان مختلفان. فالحد الفاصل بين الوحدتين الصوتيين أو الفونيمين هو اختلاف المعنى في الكلمتين مع اختلاف الصوتين. ومن مجالات البحث في علم الأصوات الخاص أيضا: دراسة الصوت في موقعه في الكلمة وما يحدث له من تغير في صفته العامة نتيجة لموقعه الجديد.

الأستاذ عبد الرحيم عزاب

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

خامسا: نظرية المحاكاة الصوتية ومناسبة اللفظ للمعنى / أمثلة ونماذج تطبيقية من القرآن الكريم.

لقد سبق بالذكر والمتابعة، أن الحد الفاصل بين كل وحدة صوتية وأخرى، هو دور الصوت في اختلاف المعنى، هذا على مستوى نظام الحروف أو الفونيمات، أما ما يتعلق بالمفردات أو الألفاظ، " فيحاول بعض العلماء أن يفسر لنا نشأة اللغة الإنسانية، بما يسمى المحاكاة الصوتية Onomatopie، وقد عرض لهذا الرأي من علماء المسلمين، ابن جني رحمه الله في كتابه " الخصائص " فقال : " وذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات كلها، إنما هو الأصوات المسموعات: كدوي الريح، وحنين الرعد، وخرير الماء، وشحيح الحمار، ونعيق الغراب، وصهيل الفرس وزقيح القرد وصياح الديك ونشيش اللحم المطبوخ ونحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك فيما بعد ".

ومما قد يؤيد هذه النظرية، ما قد نجده في بعض الأحيان، من اشتراك بعض الأصوات في الكلمات التي تحاكي الطبيعة في عدة لغات، فإن الكلمة التي تدل على الهمس، كما هي في العربية كما نعرف: ومن الأمثلة على ذلك النون الساكنة في التجويد القرآني، حيث تخرج من مخرجها مظهرة من غير غنة إذا وقعت قبل أحد الحروف الحلقية (الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين والحاء) مثل: (مَن آمَنَ)، (مِنْهم)، (مِن هَادٍ)، (أَنَعَمْتَ)...إلخ. وتدغم النون الساكنة مع الغنة إذا وقعت في آخر كلمة ووقع في أول الكلمة الآتية (الموالية لها) أحد الأصوات الأربعة: (الياء، والواو، والنون والميم)، مثل: (مَن يَّقولُ)، (مِن وَّالٍ)، (مِن نِّعْمَةٍ)، (مِن مَّالِ اللهِ).وتدغم بغير غنة إذا وقعت في آخر الكلمة ووقع في أول الكلمة الآتية (الموالية) لام أوراء، مثل: (مِن لَّدُنَا)، (مِن رَّبهم).

وحيث تقلب هذه النون الساكنة ميما إذا وقعت قبل صوت الباء في كلمة واحدة نحو(أَنْبِئْهُمْ)، أوفي كلمتين، نحو(أَنْ بُورِكَ)، وحيث تخفى هذه النون الساكنة مع بقية الحروف، نحو: (من ثمرة)، (لمن شاء)، (من طيبات)...إلخ، فهذه أمثلة كلها على دراسة الصوت في موقعه، وما يطرأ عليه من تغير نتيجة لهذا الموقع الجديد. و" لكل لغة، ولكل لهجة نظامها المقطعي الذي يميز أصواتها، وعلى دارس اللغة وفقه اللغة أن يحدد هذه المقاطع Syllabes، وعلى سبيل المثال لا يوجد في العربية كلمات مثل:

(بِيسْتْ = عشرين)، (آرْدْ = طحين) وهما كلمتان فارسيتان لأن اللغة العربية لا يجتمع فيها ثلاثة أحرف مشكلة بالسكون. فهذا النوع من المقاطع مؤلَّف من: صوت ساكن + حركة طويلة + صوت ساكن + صوت ساكن. ومما تجدر الإشارة إليه، أن ابن جني الذي عاش في القرن الرابع الهجري هو الذي أورد الكلمتين السابقتين مع كلمة فارسية ثالثة هي (مَاسْتْ بمعنى اللبن) وقال إن اللغة العربية لا تشمل على مثل هذه الكلمات ".

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

ومما تجدر الإشارة إليه كذلك ضمن هذا السياق Le contexte، أن علم الأصوات الخاص Phonologie، يدرس أيضا النبر l'accent : " وهو الضغط على مقطع من مقاطع الكلمة، حيث يكون أوضح في السمع، وأكثر بروزا من بقية المقاطع في الكلمة le mot. ولكل لغة، ولكل لهجة نظامها الخاص في النبر".

ولعل درس العلاقة بين صوت الكلمة ومعناها، يقودنا حتما إلى دراسة النبر في اللغة العربية وهو الدرس الخامس في منهاجنا البيداغوجي من محاضرات مقياس فقه اللغة ودروسها.

*أمثلة ونماذج تطبيقية من القران الكريم:

الفاصلة القرآنية بين ملاءمة اللفظ ومراعاة المعنى:

1-على مستوى الأحرف (الحروف).

2-على مستوى المفردات (الألفاظ).

إن الفاصلة في القرآن هي كلمة آخر الآية، في كتاب الله تعالى، قال ابن منظور (ت711 هـ) في هذا السياق:" وأواخر الآيات في كتاب الله فواصل، بمنزلة قوافي الشعر و...واحدتها فاصلة".

وقال بدر الدين الزركشي (ت 794هـ):" الفاصلة هي كلمة آخر الآية كقافية الشعر وقرينة السجع".

من هنا ندرك أن القدامى من اللغويين والنقاد وعلماء الإعجاز، قد شبهوا الفاصلة القرآنية بقافية الشعر أو قرينة السجع، محاولة توجيه النظر إلى الجرس الصوتي، والملاءمة اللفظية، أكثر من لفت الانتباه إلى المواءمة الدلالية والارتباط العضوي بين مضمون الآيات وخواتمها، وهذا ليس صحيحا على الإطلاق حتى إن بعض القدماء لاحظ في الفواصل القرآنية تبعيتها للمعاني بخلاف الأسجاع التي تتبع فيها المعاني الألفاظ.".

ولإبراز الجانب الصوتي (الموسيقي) في الفواصل، ومراعاة متطلبات الإيقاع ومقتضيات التلاؤم النغمي والدلالي، راعت الآيات القرآنية ما يلي:

1-على مستوى الحروف:

1-1-بناء كثير من الفواصل على الوقف pause:

(المشكلة بالسكون) حتى لا يختل الإيقاع. ولهذا شاع الجمع بين الفواصل المختلفة الإعراب نظرا لاتفاق شكلها عند الوقف، ومن ذلك قوله تعالى: "إنا خلقناهم من طين لازب" (الصفات11). مع تقدم قوله تعالى: "عذاب واصب" (الصافات9) و" شهاب ثاقب" (الصافات10). وقد نبه إلى ذلك محمد الحسناوي حين قال: "بل إن جزم الفعل انحر في سورة الكوثر، ليؤكد لنا أن الوقف بالسكون على

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

رؤوس آيات هذه السورة لأن يحقق الانسجام الصوتي (الموسيقي) قال تعالى:" إنا أعطيناك الكوثر. فصل لربك وانحر. إن شانئك هو الأبتر"، وقد أدت مراعاة القرآن للفواصل إلى جملة تغييرات خرجت لبعض التراكيب عن النمط العادي، وقد شمل ذلك:

1-2-التقديم والتأخير:

كما في قوله تعالى: "فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب العالمين" (طه69). وذلك لعلة مراعاة الألف المقصورة أو الألف اللينة التي سادت التلوين الصوتي للسورة. وقارن هذا بقوله في سورة الشعراء الآيات 45-48 وبين: "قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون".

فقدم حتما بهارون مراعاة للفاصلة، حيث تسيطر النون المسبوقة بمد على سورة الشعراء. وقبل هاتين الآيتين: الغالبون، يأفكون، ساجدين".

ومنه كذلك قوله تعالى: "إن علينا للهدى وإن لنا للآخرة والأولى" (سورة الليل 12،13) حيث عدل البيان القرآني عما هو مألوف ومتبادر من تقديم الأولى عن الآخرة، مراعاة للفواصل .

1-3-زيادة حرف لأجل الفاصلة (مراعاة الصوت للمعنى):

جاء في قوله تعالى: "وتظنون بالله الظنونا" (الأحزاب10). لأن معظم الآيات من هذه السورة المدنية ينتهي بألف منقلبة عن تنوين وقفا.

فزيد عن النون ألف لمناسبة نهايات الفواصل في الآيات، وقبل هذه الآية: مسطورا، غليظا، أليما، بصيرا، وبعدها شديدا، غرورا، فرارا، ومثلها في قوله تعالى: "إنا أطعنا سادتنا وكبرائنا فأضلونا السبيلا" (الأحزاب67. برواية ورش لقراءة الإمام نافع).

-وكذلك إلحاق هاء السكت في قوله تعالى: "ماهيه" من سورة القارعة، الآية 8،9.

(وما أدراك ماهيه. نار حاميه) لتحقق اتفاق الفواصل مع ما قبلها وما بعدها (فأمه هاويه. وما أدراك ماهيه. نار حامية).

1-4-حذف ياء العلة:

مثل قوله تعالى: "والليل إذا يسر" (سورة الفجر عن ورش 4)، بدلا من (يسري) لوجودها مع الفجر، عشر، الوتر،... إلى بقية الآيات من نفس السورة، وبمختلف صور الحذف ونماذجه للحرف، ومراعاة للفاصلة ومقتضيات البناء الدلالي العام للسورة".

2- على مستوى المفردات (الألفاظ).

يرى بعض علماء الإعجاز واللغة بناء على هذه النظرية (نظرية المحاكاة الصوتية ومناسبة اللفظ للمعنى).

أن مناسبة اللفظ للمعنى مناسبة حتمية، بمعنى أن اللفظ يدل على معناه دلالة وجوب، لانفكاك فيها. ومن نادى بهذا الرأي عباد بن سلمان العميري . من المعتزلة "فقد ذهب إلى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية، حاملة للواضع على أن يضع هذه اللفظة أو تلك، بإزاء

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

هذا المعنى أو ذاك ويرون عن بعض من تابعه على رأيه هذا، أنه كان يقول: إنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها، فسئل عن معنى كلمة: (إذغاغ) وهي بالفارسية: الحجر، كما يقولون. فقال: أجد فيه يبسا شديدا، وأراه الحجر".

ولعله من المفيد التأكيد هاهنا، أن من أنصار المناسبة بين اللفظ والمعنى من علماء العربية العلامة اللغوي أبو الفتح عثمان ابن جني، الذي عقد في كتابه "الخصائص" بابا طويلا، جعل عنوانه: "باب في إمساء الألفاظ أشباه المعاني"، وذكر فيه ألفاظا كثيرة من اللغة العربية، تؤكد كلها نظريته في مناسبة صوت الكلمة ومعناها".

ويمكن اختزال هذا الباب (في إمساء الألفاظ أشباه المعاني) في الآتي:

أ–عند النحاة واللغويين:

يروي سيبويه عن الخليل بن أحمد الفراهيدي، أن العرب قالوا في الدلالة على صوت الجندب": (صر)، لأن في صوته امتدادا واستطالة. أما البازي" فدلت العرب عن صوته بالفعل (صرصر)، لأن فيه تقطيعا وعدم استمرار.

كما يذكر ابن جني عن سيبويه تفسيره لوجود كثير الحركات في المصادر العربية التي جاءت على وزن: (فعلان) لمناسبة دلالتها على الاضطراب والحركة، مثل:(الغليان) و(الهيجان) و(الطيران) و(الفوران)، وما أشبه ذلك. يقول رمضان عبد التواب في هذا السياق :"وهذا الذي ذكره ابن جني، يصح في بعض نصوص اللغة العربية، دون غيرها، فلو أننا نظرنا مثلا إلى الآية القرآنية التي يقول فيها الباري سبحانه وتعالى :"وغلقت الأبواب وقالت هيت لك" (سورة يوسف23) لأحسسنا بصوت المزاليج وهي تحكم رتاج الأبواب، وينعدم هذا الإحساس مع الفعل:(أغلق) الذي يدل على مجرد الإغلاق".

ب–عند نقاد الأدب العربي القديم:

لقد نزع كثير من نقاد الأدب منزع اللغويين، في محاولة عقد الصلة بين اللفظ ومعناه، فهذا هو ضياء الدين بن الأثير (ت637 هـ) يكمل مسيرة ابن جني وأسلافه من علماء اللغة العربية، حول مناسبة الألفاظ للمعاني، فيقول:" اعلم أن اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان، ثم نقل إلى وزن آخر أكثر منه، فلابد من أن يتضمن من المعنى أكثر مما تضمنه أولا". ومن هنا نشأت الفكرة أو النظرية التي تقول:" إن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى".

ولذلك يجب أن لا ننساق وراء الفكرة وتفهمها على كل مثال وجدت فيه هذه الظاهرة فقد تكون هناك – مثلا – كلمتان تدلان على معنى معين، غير أن إحداهما مقتطعة في الأصل من الأخرى، وليست الثانية مزيدة منها، كما توهم علماء البصرة ذلك في (السين) و(سوف) فقالوا: إن(سوف) تدل على الاستقبال البعيد، و(السين) تدل على الاستقبال القريب. "وليس في نصوص اللغة العربية ما يشهد لتكلفهم هذا، فقوله تعالى:" فسيكفيكهم الله" (سورة البقرة136). ليس معناه تحقق هذه الكفاية في الغد، كما أن قوله تعالى: "ولسوف

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

يعطيك ربك فترضى" (سورة الضحى5) ليس معناه تأخرا لإعطاء عاما أو عامين، بل إن الحقيقة أن (سوف) أقدم من (السين)، وأن (السين) جزء مقتطع منها. فمن الحقائق المقررة عند المحدثين من علماء اللغة أن كثرة الاستعمال تبلي الألفاظ".

سادسا: دلالة الجرس أو الصوت

عرض وتحليل ومقاربات أنطولوجية

لقد لخص الخليل بن أحمد الفراهيدي، ومن سار على منهجه إلى نوع من الفهم بغرض وجود صلات دائمة بين اللفظ ودلالته، قال الخليل:" كأنهم توهموا في صوت البازي تقطيعا فقالوا: صرصر".

كما رأى سيبويه:" أن النزوان والنقزان، والقفزان أشياء تدل على زعزعة البدن واهتزازه في ارتفاع، ورأى أن الغليان والغثيان واللمعان والخطران مصادر تفيد الحركة والاضطراب أينما جاءت".

نستشف من هذه المصادر أهمية هذه العلاقة التي تربط اللفظ بمعناه، وهي التي مازالت حتى اليوم حجر الزاوية في كل دراسات فقه اللغة وعلم الدلالة والصوتيات، ويعبر ستيفن أولمان عن أهمية الدراسة بقوله: "إن نواة دراسة علم الدلالة، هي العلاقة ذات القطبين بين وجهيها المتداخلين العلامة signe، وهذا يقابل اللفظ عند علماء العرب، والشيء المدلول عليه signifiant، أي: بين ما يدل على معنى، والشيء المعني"، وفي هذا السياق يقول أحمد مختار عمر: "إن هذا النوع من الصوت ذو صلة بعلم الدلالة والرابط بينهما هو المعنى، فإذا كان علم الدلالة هو ذلك الفرع الذي يدرس الشروط الواجب توافرها في الرمز حتى يكون قادرا على حمل المعنى، فإن الصوت هو حركة المعنى وليس بينهما انفصال ولإدراك أحدهما ينبغي اكتشاف الآخر معه ".

ومن هذه المقاربات المفهومية، نرى جهد ابن جني لربط الصيغ بالدلالات، وتلك هي نظرته الأولى التي مكنته منها أذنه المحللة للأصوات ولطبيعة العلاقة بين التوكيد الصوتي والدلالة. لقد اعتقد ابن جني "أن العرب كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت Azimut الأحداث المعبر عنها، فيعدلونها بها ويحتذونها عليها".

وبوحي هذه النظرية (جريان أصوات الحروف على سمت الأحداث) يسوق ابن جني كثيرا من الأمثلة، يمكن حصرها في الآتي:

1-خضم وقضم: فالخضم لأكل الرطب، والقضم للصلب اليابس. وقد علل ابن جني رأيه هذا، بشواهد فقال القدماء يقولون: "قد يدرك الخضم بالقضم". أي: قد يدرك الرخاء بالشدة واللين بالشظف، وبنفس الروح المعللة يقول ابن جني :"إن الخاء لرخاوتها قد اختاروها للرطب، وإن القاف لصلابتها اختيرت لليابس، وذلك حذو لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث".

2-ومن قبل ابن جني ذكر الكسائي(ت189هـ) أن القضم للفرس والخضم للإنسان على حين قال غيره: إن القضم بأطراف اللسان، والخضم بأقصى الأضراس".

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr

ومنها قولهم: النضح للماء، والنضخ لما هو أثقل من الماء. وعلة ذلك أن الحاء –لرقتها–جعلت للماء الضعيف وأن الخاء –لغلظها– جعلت لما هو أقوى من الماء.

3–ومنها الوسيلة والوصيلة: والمعنى هنا لا يختلف في أصله، ولكنه مختلف في نوعه أو درجة توكيده، ويعلق ابن جني على هذا الخلاف بقوله المحكم: "الصاد–كما ترى أقوى صوتا من السين، لما فيها من الاستعلاء. والوصيلة أُقوى معنى من الوسيلة. وذلك أن التوسل ليست له عصمة الوصل والصلة، بل الصلة أصلها اتصال الشيء بالشيء وممارسته له، وكونه في أكثر الأحوال بعضا له، كاتصال الأعضاء بالإنسان وهي أبعاضه، ونحو ذلك. والتوسل معنى يضعف ويصغر، أي يكون المتوسل جزءا من المتوسل له. وهذا واضح، فجعلوا الصاد لقوتها للمعنى الأقوى، والسين لضعفها للمعنى الأضعف".

4– لم يقف ابن جني في نظريته على شواهد منفردة، وقد ساق عديد الأمثلة التي تؤكد تلازم العلاقة بين صوت الكلمة ومعناها." وفرق الدلالة مع فرق الصوت، وخاصة فيما بين السين والصاد فقد قالوا: صعد وسعد وخصوا صعد بما فيه أثر مشاهد يرى.

وقالوا هو سعيد الجد بمعنى هو عالي الجد. فكأنهم جعلوا الصاد لقوتها على ما يشاهد من الأفعال المتجشمة. وجعلوا السين لضعفها فيما تعرفه النفس وإن لم تره العين. ويضيف ابن جني لذلك: "إن الدلالة اللفظية أقوى من الدلالة المعنوية". والذي يعنيه بالدلالة اللفظية هو الدلالة التي يرتبط فيها اللفظ بمعنى محسوس، وليس بمعنى مجرد. وهذا يساير الاعتقاد الشائع عند نفر من اللغويين في أن أصل المعاني محسوسات، ثم توالدت منها المعاني المجردة أو المعنوية، بل وربما تكون كيفية الاستعمال هي التي نفثت الروح بين المجردات وأصولها المحسوسات. ومازال اللغويون يذكرون مثل أبي عمرو بن العلاء حين قال:" إن أصل الخيلاء من الخيل، وأن الصلة بين الخيلاء ومشية الخيل دافعة لذلك الاعتقاد."

Email : abderrahimazeb_alg@yahoo.fr